AFTER THE CRACK



الجزء الثاني

عتبة 5

بعد الشرخ

ثمة عبارات نستخدمها بخفّة.

«أشعر أنني وُلدت من جديد».

«بدأت من جديد».

«كانت حياة جديدة».

عادةً ما تكون استعارات.

صورًا بلاغية.

طرائق أنيقة لوصف تغيّر ما.

ثم توجد لحظات تكفّ فيها تلك الكلمات عن أن تكون رمزية.

وتصبح حرفية.

لوقت طويل تخيلت الحياة خطًا متصلًا.

فيه صعود وهبوط.

فيه تسارع وتباطؤ.

فيه نجاحات ومشكلات.

لكنه دائمًا الخط نفسه.

ودائمًا الرحلة نفسها.

ثم جاء اليوم الذي فهمت فيه أن حياة يمكن أن تنقطع من دون أن يموت الجسد.

يمكن أن تنقطع رؤية للعالم.

هوية.

يقين.

مشروع.

صورة عن الذات.

وحين يحدث ذلك، فإن الشخص الذي يخرج من الجهة الأخرى لا يكون أبدًا مطابقًا لذاك الذي دخل.

في البداية يحاول المرء المقاومة.

يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

أن يرمّم.

أن يعيد البناء.

أن يعود إلى الحياة الطبيعية.

إنها ردة فعل طبيعية.

وأنا أيضًا فعلت الشيء نفسه.

أردت استرجاع الاستمرارية.

أردت أن أعقد من جديد ما كان قد انقطع.

أردت العودة إلى ما قبل.

ثم فهمت شيئًا يصعب قبوله.

ما قبل لم يعد موجودًا.

وكانت ملاحقته بلا جدوى.

هذه واحدة من أغلى دروس الحياة ثمنًا.

لأنها تتطلب حدادًا صغيرًا.

الحداد على ما كنّاه.

كثيرًا ما نتحدث عن الأشخاص الذين نفقدهم.

وأقل بكثير عن الهويات التي نفقدها.

ومع ذلك فهي أيضًا تستحق جنازة.

ثمة لحظة تكفّ فيها عن أن تكون الابن الذي كنته.

المهني الذي كنته.

الرجل الذي كنته.

المرأة التي كنتها.

ثمة لحظة تُنهي فيها نسخة منا مهمتها.

وتترك المكان لشيء آخر.

حين عبرت ذلك الفصل، لم أنتبه فورًا.

ظننتها أزمة.

فترة عابرة.

حادثًا عارضًا.

لم أفهم إلا لاحقًا أنني كنت أعبر تحولًا.

الفرق هائل.

الأزمة شيء ترغب في أن ينتهي.

التحول شيء يغيّرك إلى الأبد.

أذكر فترة بدا فيها كل يقين معلقًا.

الإجابات القديمة لم تعد تجدي.

الأدوات القديمة بدت غير كافية.

حتى بعض الأهداف فقدت معناها.

كان إحساسًا مقلقًا.

كأن تمشي في مشهد مألوف وتكتشف أن كل الطرق غيّرت اتجاهها.

لبعض الوقت حاولت أن أهتدي باستخدام خرائط قديمة.

لم ينفع ذلك.

لأنني كنت قد تغيّرت.

لم تكن الخرائط خاطئة.

بل كانت متقادمة.

هذا ما يحدث في الانتقالات الكبرى.

المشكلات لا تنبع فقط من العالم الذي يتغيّر.

بل تنبع من أننا نواصل تفسيره بعيون تنتمي إلى الماضي.

ثم، ببطء، يعود شيء ما إلى الاتساق.

لا يحدث ذلك في يوم.

ولا يحدث في أسبوع.

بل يحدث عبر مئات التعديلات الصغيرة.

عبر إدراكات جديدة.

أولويات جديدة.

أسئلة جديدة.

ذات صباح تستيقظ فتنتبه إلى أنك تراقب الواقع بطريقة مختلفة.

الأشياء نفسها.

بعيون مختلفة.

عندها بدأت أفهم المعنى الأصيل للولادة الجديدة.

إنها لا تكمن في العودة إلى الشباب.

ولا تكمن في إزالة الألم.

ولا تكمن في محو الأخطاء.

بل تكمن في خلق علاقة جديدة مع كل ما حدث.

مع الجروح.

مع المخاوف.

مع الخسارات.

مع الفرص.

مع الزمن نفسه.

الحياة الثانية لا تولد من إنكار الأولى.

بل تولد من دمجها.

كل ما كنته يظل موجودًا.

لكنه لم يعد يحكم الحاضر.

يصبح خبرة.

يصبح ذاكرة.

يصبح مادة بناء.

كثيرون يتخيلون الولادة الجديدة حدثًا استعراضيًا.

أما أنا فعشتها بطريقة مختلفة.

كإعادة بناء بطيئة.

لبنة لبنة.

فكرة فكرة.

قرارًا قرارًا.

في صمت غالبًا.

من دون جمهور غالبًا.

ومن دون أن ينتبه أحد غالبًا إلى ما كان يحدث.

ومع ذلك كان يحدث.

في عمق الأشياء.

مع مرور الوقت بدأت أنظر إلى الآخرين بطريقة مختلفة.

فهمت أن الجميع تقريبًا يعيشون أكثر من حياة واحدة.

ليس بالضرورة وجودات بيولوجية متعددة.

بل فصولًا داخلية متعددة.

هويات متعددة.

تحولات متعددة.

ننظر إلى وجه فنتخيل استمرارية.

لكن خلف ذلك الوجه قد توجد خمس أو عشر أو عشرون نسخة مختلفة من الشخص نفسه.

كلها حقيقية.

كلها نجت.

كلها ضرورية.

ربما لهذا تصبح الرأفة أكثر أهمية مع التقدم في العمر.

لأننا نتعلم احترام معارك الآخرين غير المرئية.

نفهم أن لا أحد هو فقط ما يبدو عليه.

كلٌّ يحمل في داخله حكاية انهيارات وإعادة بناء.

حكاية خسارات وولادات جديدة.

حكاية موتات رمزية وانطلاقات جديدة.

حين أنظر إلى الوراء، لا أضفي المثالية على تلك الفترة.

ولا أرغب في أن أعيشها من جديد.

كانت صعبة.

مشوشة.

ومؤلمة أحيانًا.

لكنني أعترف بقيمتها.

لأنه من ذلك التحول وُلد شخص لم يكن موجودًا من قبل.

شخص أكثر وعيًا.

أكثر انتباهًا.

أكثر إنسانية.

ربما أقل يقينًا.

لكنه أكثر أصالة بكثير.

وهذا هو الجزء المهم.

في نهاية الطريق، حين أتأمل المسار المقطوع، لا أرى حياة واحدة.

أرى اثنتين على الأقل.

الأولى مبنية على التوقعات.

والثانية مبنية على الفهم.

الأولى متمحورة حول الفعل.

والثانية أكثر انتباهًا للكينونة.

الأولى موقنة بأنها تعرف.

والثانية مستعدة للإصغاء.

لهذا فالحديث عن حياة ثانية لا يحمل أي مبالغة.

ليست عبارة شعرية.

ليست استعارة.

إنها إقرار بواقع.

لأن ثمة لحظات لا نغيّر فيها الاتجاه فحسب.

بل نغيّر وجودنا.

وحين يحدث ذلك حقًا، لا تكون الحياة الثانية استعارة.

بل هي ما يبقى بعد أن تكون الأولى قد علّمت كل ما كان في وسعها أن تعلّمه.